**الفروق الفردية**

يتباين أفراد النوع الواحد في صفاتهم، ويتباين البشر في جميع صفاتهم، فالبشر يتباينون في أشكالهم، وألوانهم، وطرق وأساليب تفكيرهم، ومستويات فهمهم، وطرق وأساليب استجاباتهم للمواقف المختلفة، فمنهم العادي، والموهوب، وفيهم القصير، والطويل، والبدين والنحيف، وفيهم الأسود والأبيض، كما ومنهم من يستجيب بسرعة، وآخر ببطء، ومن هو مهتم بموضوع، وآخر مهتم بموضوع آخر،... ولا يقتصر وجود الفروق بين الأفراد فحسب، بل توجد الفروق حتى داخل الفرد نفسه. فبالرغم من أن الشخص الواحد له سماته، وخصائصه، ومميزاته التي تميزه عن غيره، إلا أن قدراته، واستجاباته متباينة كذلك. فمثلاً، تتباين قدرته على التكيف، وفي التعامل مع المواقف الحياتية المختلفة من وقت لآخر، ومن موقف وظرف لآخر. كما ويؤكد علماء النفس بأن الأفراد يختلفون في قدراتهم على التعلم، وحل المشكلات، واكتساب اللغات والعادات السلوكية والمعرفية، كما يختلفون في طرق وأساليب استجاباتهم للمواقف المختلفة، مثل مواقف الخوف، والسلوك العدواني، ونشاطاتهم الأخرى، كحب الإستطلاع، وتناول الطعام، والنوم، والمشي، والكلام...إلخ من النشاطات المتنوعة. وتشمل تلك الفروق النواحي الجسمية، والعقلية، والنفسية، والإنفعالية، والسلوكية الأدائية. ولا تقتصر الاختلافات على هذه النواحي فحسب، وإنما من الناحية الفسيولوجية أيضا، والبيوكيميائية في كل خاصية يمكن قياسها، أو رصدها فيما يصدر من الإنسان من سلوك، أو فعل، أو تغييرات فسلجية، وحتى تكوينية في الخَلق، مثل عمل القلب، والمعدة، والرئتين، والبنكرياس، فنجد الكثير من الاختلافات من حيث الشكل، والحجم في هذه الأجهزة، بين الأفراد.

تعرف الفروق الفردية بأنها الاختلافات في درجة وجود الصفة (جسمية أم نفسية) لدى الأفراد إذا أردنا معرفة مستوى كل فرد في صفة معينة، وقد تكون الفروق في الفرد نفسه. أو "هي تلك الإختلافات التي نلاحظها بين الأفراد في مختلف السمات الإنفعالية والعقلية، وهي فروق في الدرجة، لا في النوع. كذلك تمثل الفروق الفردية درجة الإنحراف عن المتوسط الطبيعي العام في صفة معينة. بمعنى درجة إبتعاد صفة ما عند فرد، عن درجة وجوها عند الآخر، أو عند الآخرين. وتتضمن الفروق الجسمية، والعقلية، والنفسية التي تميز فرداً عن آخر. فهذا الفرد أكثر ذكاءاً من ذاك، وهذا أقل إنطوائية من ذاك، وهذا بصره شديد، وآخر بصره ضعيف،... وتلزمنا معرفة الفروق بين الأفراد بعضهم وبعض حتى نعامل كلاً بالطريقة التي تناسبه، فاسلوبنا في التعامل مع المريض النفسي ينبغي أن يختلف عن اسلوبنا في التعامل مع السليم نفسياً، واسلوبنا في التعامل مع ضعيف العقل ينبغي أن يختلف عن اسلوبنا في التعامل مع الشخص الذكي وهكذا. ولدى كل منا مهارة تلقائية في التعامل مع الناس على وفق ما بينهم من فروق فردية.

**- أهمية وجود الفروق الفردية**

الأفراد يختلفون في خصائصهم وصفاتهم الموروثة والمكتسبة، مما يجعل كل شخصية فريدة في صفاتها عن غيرها، فكل إنسان يحمل من الأفكار، والمعتقدات، ولديه من القدرات والإمكانات ما يتيح له أن يستفيد منها، وبما يناسبه، ويحقق من خلالها أهدافه في الحياة، فيأخذ مكانه، ويحصل على مكانته وفقاً للدور الذي يؤديه في حياته الشخصية، أو الدراسية، أو المهنية، والإجتماعية عموماً، مما يعطي أهمية أكبر لدراسة الفروق الفردية والإستفادة التطبيقية منها خاصة إذا كانت هذه الدراسات علمية مستهدفة تنظيم العلاقات الإجتماعية، والمهنية، والإدارية، وتوزيع الأدوار بين أعضاء المجتمع. ولولا وجود الفروق الفردية كحقيقة واقعة، ما كان هناك أصلاً حاجة إلى الإختبارات والمقاييس النفسية والعقلية والجسمية.

**- أهمية دراسة الفروق الفردية**

تنبع أهمية دراسة الفروق الفردية في علم النفس بوجه عام، وعلم النفس التربوي بوجه خاص من خلال أكثر من منظور،ذلك لأجل تحقيق العديد من الأهداف**.** فيهتم علماء النفس بدراسة الفروق الفردية، من خلال دراسة أوجه الشبه والإختلاف بين الناس، ومحاولاتهم الجادة على تبسيطها وترتيبها، وفضلاً عن ذلك فإن علماء النفس يبحثون عن نظريات ليوحدوا ويفسروا المتغيرات التي تحدد مثل هذا التشابه سواء بين الأفراد، أو بين الجماعات، لذا، فإن اهتمام علم النفس الفارق بدراسة الفروق الأفراد يشكل الأساس للدراسة والبحث، إذ هو الدراسة العلمية الموضوعية التجريبية لظاهرة الفروق الفردية. إن علم النفس الفارقي " سيكولوجية الفروق الفردية"Psychology of individual differences يهدف إلى فهم السلوك الإنساني بوساطة معرفة، ودراسة الفروق الفردية بين الناس، وبين الجماعات، وفي الفرد نفسه. وازاء ذلك يعتمد في فهمه لهذا السلوك على تجميع المعلومات، والحقائق التي تميز تلك الفروق عن غيرها من الظواهر النفسية الأخرى، ثم يحللها بإحدى الوسائل العلمية المناسبة لطبيعة تلك الظواهر، وهذا التحليل يؤدي إلى فهمها وتوجيهها، وإقامة البناء العلمي النظري الذي ينظمها في قوانين، ونظريات تصلح للتعميم، والتنبؤ، بل تتعدى ذلك إلى حل، ومعالجة التباينات.

إن علم النفس الفارقي يدرس الفروق الفردية بين الناس لمواجهة المشكلات المختلفة، والمشكلات التربوية لدى الأطفال في مختلف مراحل الدراسة، فربما تكون هناك تساؤلات تربوية، منها معرفة القدرات والميول لدى الطلبة لاختيار الدراسة، أو فيما يتعلق بالمهنة لاختيار الأفراد للمهن التي تتناسب وقدراتهم، أو إكلينيكية "علاجية" مثل تحديد الأفراد الذين يحتاجون إلى رعاية نفسية خاصة، أو تنبؤية مثل الكشف عن القدرات العقلية، تفوق العقلي، أو التخلف العقلي. وما تقدم، فإن أهمية دراسة الفروق الفردية تكمن في :

1- التعرف على دور كل من العوامل الوراثية والبيئية في تشكيل مدى ما بين الأفراد من فروقات فردية، ومن ثم الإستفادة من ذلك في تشكيل، أو توفير بيئة تربوية، ومهنية، وإجتماعية، وثقافية تنشط فيها العمليات المميزة للسلوك الإنساني من قدرة على التفكير الإبداعي، والتفكير العلمي، والتفكير الناقد، وسمات القائد الفعال، وعمليات تحمل الضغوط النفسية، وضغوط العمل... وغيرها من العمليات التي تجعل من الفرد متميزاً.

2- توفير إمكانية القياس، والتشخيص، والتقدير لمدى التجانس، أو الإختلاف بين الأفراد، أو بين الجماعات، من خلال ما تطرحه من وسائل قياس نفسي، وتربوي، بصورة تسهل من عمليات التعامل العلمي، والعملي، والتنسيق، والتوجيه، والتخطيط وفقاً لما يمتلكه الأفراد من سمات، أو قدرات فعلية على الأداء.

3- مساعدة القائمين على العملية التعليمية في التوجيه الأكاديمي، والتربوي لكل متعلم تبعاً لدرجة إستعداده، بحيث يوجه كل متعلم إلى نوع الدراسة التي يمكن أن ينجح فيها لما بين المتعلمين من فروق في القدرات العقلية، والنواحي المهارية، والمزاجية، والشخصية.

4- مساعدة المعلم داخل الغرفة، أو القاعة الدراسية في التعرف على ما بين المتعلمين من فروق فردية، ومن ثم يقابل ما بينهم من فروق فردية بأساليب، وطرائق تناسب كل متعلم ومستواه، وسرعته في إنجاز مستوى معين من الأداء.

5- مساعدة القائمين على تخطيط، وتصميم، وتطوير المناهج الدراسية على عمل برامج تربوية منظمة تتناسب وكل مستويات المتعلمين في قدراتهم العقلية، والمهارية، أو الادائية، بحيث يتم تقديم الخبرات التربوية، والتعليمية من خلال مناهج، ومقررات تقابل ما بين الأفراد من فروق فردية، فيصل كل فرد منهم إلى أقصى ما تؤهله له قدراته، وإمكاناته، وبما يتيح فرصة التعامل مع المبدعين، والمتوسطين، ومن يعانون صعوبات التعلم.

6- مساعدة متخذي القرار في التخطيط للقوى البشرية، وتوجيهها مهنياً، وأكاديمياً، بما يحسن من عمليات الإختيار والتعيين، لوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وفق ما يمتلكه من سمات سلوكية تميزه عن غيره، وتجعله أهلاً لمكانة علمية، أو قيادية، أو فنية، وغير ذلك...

**- أنواع ومظاهر الفروق الفردية**

تظهر أنواع الفروق الفردية في العديد من خصائص، ومظاهر، ومجالات حياة الإنسان، كما في المظاهر السلوكية، والنواحي التربوية، وبعض الجوانب الشخصية. ويمكن تصنيفها كالآتي:

1. الفروق إما أن تكون في نوع الصفة، وأما أن تكون في درجة وجودها، فاختلاف الطول عن الوزن هو اختلاف في الصفة، أما التباين في الأطوال مثلاً، فهو اختلاف في الدرجة.
2. وقد تصنف المظاهر العامة للفروق الفردية في الشخصية إلى فئتين هما: الفروق الفردية في الأداء الأقصى، والفروق الفردية في الأداء المميز.

كذلك، يمكن تلخص أنواع الفروق الفردية الرئيسية بما يأتي :

**أولاً- الفروق بين الأفراد**

وتعني اختلاف الأفراد بعضهم عن بعض من حيث قدراتهم وسماتهم. ففي القدرة الواحدة يلاحظ أن الأفراد يختلفون من حيث القوة والضعف، ففيهم القوي، والضعيف، والمتوسط. وقياس هذا النوع من الفروق يهدف إلى مقارنة الفرد بغيره من أفراد مجموعته، أو صنفه، أو تخصصه الدراسي، أو عمره، أو بيئته من ناحية من النواحي النفسية، أو التربوية، أو المهنية، أو الجسمية، لتحديد مركزه النسبي فيها، حتى يمكن تصنيف الأفراد إلى مستويات أو إلى جماعات متجانسة. ومثال على الأختلافات بين الأفراد في القدرات أن يمتلك فرد قدرة عالية في المناقشة، وإيصال فكرة ما بسهولة إلى الآخر، بينما لا يتمكن من ذلك فرد آخر بنفس المرحلة الدراسية، أو العمرية، وقد يمتلك فرد قدرة عالية في الرياضيات، بينما زميله بمستوى متوسط، أو ضعيف، وآخر لديه القدرة على الإبتكار في مجال ما، وغيره بنفس المرحلة غير قادر على ذلك...

**ثانياً: الفروق في ذات الفرد**

وتعني اختلاف قدرات، وسمات الفرد ذاته من حيث القوة والضعف. إن الفرد نفسه لا تتساوى فيه جميع القدرات، فلو قسمنا السمات العقلية المختلفة لدى الفرد، ما وجدناها على درجة واحدة، أو مستوى واحد في كل الأوقات والظروف. فمثلاً قد يكون الفرد متفوقاً في القدرة الرياضية، ومتوسطاً في القدرة اللغوية، وضعيفاً في قدرة أخرى،... كذلك الحال فيما يتعلق بالسمات الإنفعالية المختلفة، كما وقد تطرأ تغيرات على سمات الفرد المختلفة مع مرور الوقت، وهذه التغيرات تجعله يختلف عن نفسه من مرحلة إلى أخرى. ولو تابعنا التغيرات التي تطرأ على سمات الفرد النفسية، والعقلية، والمعرفية خلال مراحل حياته، سنلاحظ أنها متباينة. وتتباين مستويات القدرات ذاتها لدى ذات الفرد من فترة إلى أخرى، ومن مظهر إلى آخر، فقد يكون الفرد قادر على التعبير التحريري، لكنه ضعيف، أو قد يخفق في التعبير الشفهي... وكل ذلك يتبع عوامل عديدة منها عوامل خارجية بيئية، وأخرى داخلية. وسنأتي على ذكرها وتوضيحها لاحقاً.

والهدف من دراسة، وقياس هذا النوع من الفروق الفردية لأجل مقارنة السمات المختلفة في الفرد نفسه، ولمعرفة نواحي القوة والضعف لنفس الفرد، ومقارتها في مواقف مختلفة، وتعرف أقصى حد ممكن أن يصل إليه في إمكاناته، بغرض الوصول إلى تخطيط أفضل لبرامج تعليمية، أو تدريبية مناسبة له، كما تفيد في توجيهه مهنياً، وتربوياً، حتى يتمكن من أن يحقق أكبر نجاح في حدود إمكانياته هو.

ثالثاً: **الفروق بين الشعوب**

تشير الدراسات إلى أن الفوارق بين أكثر الأصناف البشرية تباينات ليست كبيرة جداً، وأنها قاصرة على مميزات ثانوية تتعلق بالصفات الخارجية الجسمية فحسب، كتلك التي تتعلق بالشكل، مثل لون البشرة، ولون الشعر... وهناك تباينات بين الشعوب والمجتمعات تتبع ما نشأ عليه أفراد المجتمع الواحد، وتميزهم عن غيره، إذ تتباين، وتتعدد الثقافات. فكل مجتمع سواء أ كان متحضراً، أم بدائياً، قديماً، أم معاصراً فلديه من العادات والتقاليد، والمعتقدات،...وغيرها، مختلفة، مما يشكل ثقافة الفرد والمجتمع بشكل يميزه عن غيره.

**رابعاً: الفروق بين الأفراد داخل العنصر، أو العرق الواحد**

يخضع الأفراد لظاهرة الفروق الفردية حتى في العنصر، أو العرق الواحد، فالبشر يتباينون فيما بينهم في الصفات الجسمية، والعقلية، والأخلاقية، والمزاجية حتى داخل العنصر، أو العرق الواحد ضمن المجتمع الواحد.

**خامساً: الفروق بين الجنسين (الذكور والإناث) :**

بالرغم من وجود العديد من أوجه التشابه بين الذكور والإناث في الصفات، إلا أن نتائج الدراسات العلمية تشير إلى وجود فروق بين الجنسين تتعلق بالخصائص الجنسية الأولية، والثانوية، وفروق أخرى جسمية.